د. بكري عساس

المعلمُ وحسنُ الأثر ـ 16 فبراير 2016

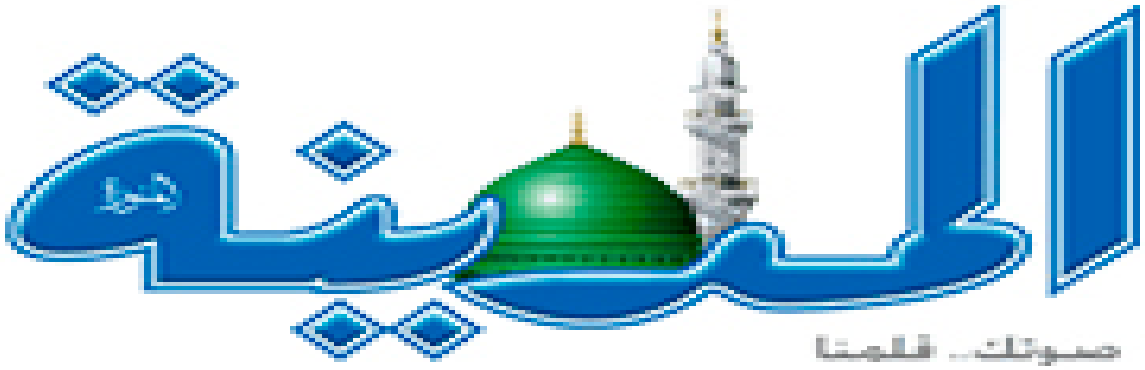

قبلَ قُرابةِ ستينَ عاماً كان هناك طالب بريطاني لم يكنْ يميزه عن أقرانه شيء! كان مستواه متوسطاً، وكان أساتذته لايرون منه إلا جانبه الشقيّ، وحدَهُ أستاذ الرياضيات التركيّ ذكران طه هو الذي لاحظ أن وراء هذا الوجه المشاغبِ عقلاً رياضياً فذاً، فصرف همتَه لتطويره وترقيته وتحفيزه.

كانت نتيجة هذه الفراسةِ أن التحق الطالبُ الذي ظنه أساتذته متوسط المستوى بجامعة أكسفورد، وحصل منها على درجة الشرف الأولى في الفيزياء، ثم أكمل دراسته في جامعة كامبردج حتى حصل على الدكتوراه في علم الكون.

لم تتوقف المسيرة وظلَّ هذا الرجل يُتحف الساحة الفيزيائية والرياضية والفلسفية بإبداعاته التي كان على رأسها كتابه الشهير: (تاريخ موجز للزمن)، بيع من هذا الكتاب أكثر من 10 ملايين نسخة! وعده بعضهم ثاني أكثر كتاب قراءةً في أوروبا بعد الإنجيل!

والأغربُ أن هذا الرجل أصيب في مطلع العقد الثالث من عمره بمرضِ التصلبِ الضموري الجانبيّ، مما أفقده الكلامَ والحركة، فأصبح بلا صوت! ولم يعد يتحرك منه سوى عضلةِ عينيه! وتوقع له الأطباء ألا يعيش أكثر من ثلاث سنين ولكنّه مازال حياً إلى اليوم بعد مرور أكثر من خمسين سنةً على توقع الأطباء.

2026 © جميع الحقوق محفوظة لموقع الدكتور بكري عساس

د. بكري عساس

إنّه (ستيفن هوكينج) أشهر علماءِ الفيزياء اليوم، وأحدُ أعظمُ عباقرةِ العالمِ، وشاغلُ (الكرسي اللوكاسيّ) للرياضياتِ الذي شغله من قبل العالمُ العظيم: إسحاق نيوتن.

الشاهدُ في هذه القصة هو (الأثر) الكبير الذي تركه المعلم التركيّ في تلميذه، وتلك الفراسة التي جعلتْه ينتشلُ هذه الموهبة الفذة ويضعها في الطريق الصحيح.

إن الأساتذة الحقيقيين يمتازون بهذه القدرة على اقتناص المواهب ومن ثم وضعها في مسارها الصحيح الذي يلائم عناصر قوتها وتميزها.

شخصياً مررتُ بتجربةٍ لا أنساها مع أستاذٍ عظيمٍ، ومربٍّ قدير، هو الأستاذ الكبير عبدالله باحاوي مدير مدرسة مكة الثانوية متّعه الله بحياته.

كان هذا المدير دقيق المعرفة بطلابه، وأذكر أنني بعد انقضاء السنة الأولى الثانوية انحزتُ إلى (طابور) طلاب القسم الأدبيّ تبعاً لزملائي، وبينما كان الأستاذ عبدالله يتجوّل بين الطلاب رآني هناك، وكان يعرفُ حبّي للرياضياتِ وتفوقي فيها، فغضب، وقال: ماتصنعُ هنا؟ تحوّل إلى القسم العلميّ، فذهبتُ إلى هناك. ثم غافلتُهُ بعد انصرافه ورجعتُ إلى أصحابي، فلما رجع رآني فغضبَ أشدّ من الأولى وزجرني وأخذني إلى ناحيةِ طلابِ القسم العلميّ، وقال: إن رأيتك رجعتَ جاءكَ مني مالاتحب!! فبقيتُ مكاني.

لقد تذكرتُ هاتين القصتين بعد أن أكرمنا الله في جامعة أم القرى بنجاح مؤتمر المعلم الخامس الذي ركّز على دور المعلم في التأثير على طلابِهِ، وتنميتهم، وتوجيههم الوجهة الصحيحة. وقد حظي المؤتمر بتشريف معالي الوزير، الذي قال في كلمته أثناء ملتقى عمداءِ كليةِ التربيةِ بجامعات المملكةِ عبارةً ثمينة: «ليتنا نصل إلى واقعٍ تكون فيه كليةُ الطبّ بديلاً لمن عجزتْ كليةُ التربية عن استيعابهم!»

إنّ إيمان معاليه بدور المعلم وأثره هو الذي جعله يرى أنَّ النابغين والموهوبين ينبغي أن يكونوا في كليةِ التربية حتى إذا ضاقتْ عنهم رحّبتْ بهم كليةُ الطب! وفي كل كلياتِ الجامعاتِ وأقسامها نفعٌ وثراءٌ.

لقد بذلت دولتنا العزيزة الكثير من أجل قطاع التعليم، ويتوجبُ على كل العاملين في هذا القطاع أن يبذلوا جهدهم لإيجاد (المعلمِ الكفء) الذي يمارسُ دوره التأثيري الإيجابيّ باقتدار .. وحينئذٍ سيشهد عالمنا العربيّ المئات من أمثال هوكينج.

2026 © جميع الحقوق محفوظة لموقع الدكتور بكري عساس